

ندوات تلفزيونية - قناة اقرأ - الإسلام منهج حياة - الدرس (١٦-٣٠) : علاقة الإنسان بالشأن العام ٢ ، ما هو معنى الجهاد ؟
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٩-٠٩-٠٧.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

السلام عليكم ورحمة الله ، أيها الأخوة والأخوات أسعد الله أوقاتكم بكل خير ، وأهلاً بكم في لقاء جديد في برنامج : "الإسلام منهج حياة" .
ضيفنا هو فضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي الداعية الإسلامي . حفظه الله . أهلاً بكم فضيلة الدكتور .
الدكتور راتب :
بكم أستاذ جميل جزاك الله خيراً .
الأستاذ جميل :
دكتور ، ما هو معنى الجهاد ؟ وما هو دوره في حياة الإنسان ؟ لاسيما أن ذروة هذا الدين هو الجهاد .

الجهاد حجر الزاوية في الدين :

الدكتور راتب :

أحب أن أذكر أخوتي المشاهدين أننا في محطة رابعة ، الإنسان محطته الأولى ، أن يعرف الله ، وأن يستقيم على أمره ، وأن يسعد بقربه ، والمحطة الثانية أهله وأولاده ، والثالثة من حوله ، والرابعة علاقته بما يجري في الأرض ، كيف يفهم هذه الأحداث ؟ قد نفهم فهماً شريكياً ، وقد نفهم فهماً توحيدياً ، الفهم التوحيدي مريح للنفس وواقعي ، والفهم



الشركي متعب ومقلق ، يؤدي إلى الإحباط ، يؤدي إلى الطريق المسدود ، يؤدي إلى اليأس ، فما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد .

نحن لا زلنا في المحطة الرابعة ، محطة الشأن العام ، كيف أفهم ما يجري ؟ الحقيقة كأن الجهاد حجر الزاوية في الدين ، لكن فهم الناس للجهاد ليس كما ينبغي ، الحقيقة الجهاد أن تبذل غاية الجهد لتحقيق هدف ما .

أنواع الجهاد و معاني كل نوع :

١ . جهاد النفس و الهوى :

الجهاد كما تعلمون ذروة سنام الإسلام ، بل إن الجهاد أعلى مرتبة في الإسلام ، ولكن العوام يفهمونه فهماً آخر ، إذا ذكر الجهاد ما فهموه إلا جهاداً قتالياً ، مع أن هناك أنواعاً ممنوعة من الجهاد، هناك جهاد النفس والهوى ، وهناك الجهاد الدعوي ، وهناك الجهاد البنائي ، وهناك الجهاد القتالي ، فلا بد أن نوضح معاني هذه الأنواع ، لأنه الأولى أن نبدأ بالمراحل الأولى ، لأنها كالتعليم الأساسي لا يبني شيئاً متقدماً على لا شيء .
فأولاً جهاد النفس والهوى .



المهزوم أمام رغباته لا يمكنه أن يهزم عدوه

أستاذ جميل ، المهزوم أمام نفسه ، أمام شهوته ، أمام مصلحته ، لا يمكن أن يقاتل نملة ، الإنسان حينما يهزم ، والغرب حينما يسعى كي نهزم من الداخل لكي نريد ما يريدون ، لكي ننعس في الشهوات المحرمة ، الغرب حينما يخطط لنا ذلك ، يكون قد ألغى هذه الفضيلة ، أو هذه الفريضة التي هي ذروة سنام الإسلام .

فلا بد من جهاد نفسي ، جهاد النفس والهوى ، إذاً الجهاد الأكبر جهاد النفس والهوى ، وكأنه يشبه التعليم الأساسي ، فالذي لم ينجح مع نفسه في الجهاد لا يستطيع أن يفعل شيئاً ، والدليل على هذا الجهاد الآية الكريمة :

﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾

(سورة العنكبوت)

إذاً الجهاد الأكبر أن أحمل نفسي على طاعة الله ، أن أمنعها أن تعصي الله ، أن أحملها على الاتصال بالله ، أن أحمسها على أن تبذل الغالي والرخيص ، والنفس والنفيس في سبيل الله ، أن أضبطها وفق منهج الله ، أن يراني الله عز وجل عند الحلال والحرام ، أن يراني حيث أمرني ، وأن يفتقدني حيث نهاني ، أن أكون ملتزماً ، أن أكون طائعاً ،



هذا جهاد النفس والهوى ، وقد قال العلماء الكبار : "جاهد تشاهد" ، إن جاهدت نفسك وهواك كشف الله لك طرفاً من كمالته ، عندئذ تكون أسعد الناس ، فلا بد من جهاد النفس والهوى ، لا بد من طاعة الله ، لا بد من حملها على البذل والعطاء ، والتضحية والفداء ، لا بد من دفعها إلى الأعمال الصالحة البطولية ، هذا جهاد النفس والهوى ، هو الأساسي في الجهاد ، وهذا الجهاد لا أحد يمنعه ، ولا أحد يحاسبك عليه ، فيما بينك وبين نفسك ، حينما تؤدي الصلوات بإتقان ، حينما تبذل من مالك للفقراء والمساكين ، حينما تربي أولادك ، حينما تقيم الإسلام في بيتك ، وفي عملك ، فأنت في جهاد ، وهذا الجهاد الأساسي الذي أراد الله أن نبدأ به ، فإذا بدأنا به انتقلنا إلى جهاد آخر ، هو الجهاد الدعوي .

٢ . الجهاد الدعوي :

أيضاً الجهاد الدعوي من ضروريات الأمة .

((خَيْرُكُمْ - بِشَكْلِ مَطْلَقٍ - مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ))

[أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي عن عثمان بن عفان]

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

(سورة فصلت)



هذا الجهاد الدعوي سماه الله في قرآنه
الكريم جهاداً كبيراً ، فقال تعالى :

﴿ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ ﴾

أي بالقرآن :

﴿ جِهَاداً كَبِيراً ﴾

(سورة الفرقان)

الدعوة إلى الله فرض عين في حدود ما تعلم ومع من تعرف

فنحن ينبغي أن نبدأ بجهاد النفس والهوى ، أن نضبط أمورنا ، أن نكون مؤهلين لتلقي نوع آخر من الجهاد ، فجهاد النفس والهوى كالتعليم الأساسي ، والجهاد الدعوي كالتعليم الثانوي ، فنحن ندعو إلى الله .

((بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً))

[أخرجه البخاري والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

والدعوة إلى الله فرض عين على كل مسلم ، في حدود ما تعلم ومع من تعرف ، وكما قال عليه الصلاة والسلام :

((خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ))

[البخاري عن عثمان بن عفان]

وقال :

((بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً))

[أخرجه البخاري والترمذي عن عبد الله بن عمرو بن العاص]

هذا الجهاد الدعوي سماه الله جهاداً كبيراً ، لأن الجهاد القتالي من أجل الجهاد الدعوي ، فإذا أتيح لك الجهاد الدعوي فهذا شيء رائع جداً ، إذا سُمح لك أن تنتقل هذا الدين للآخرين ، أن تبين معالمه ، أن تبين عقائده ، أن تبين فضائله ، أن تبين خصائصه ، هذا جهاد كبير ، وهو في أعلى عليين ، فالآية الكريمة تؤكد ذلك :

﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾

٣ . الجهاد البنائي :

إذا انتهينا من الجهاد الدعوي ، فهناك جهاد خطير جداً ، الجهاد البنائي ، الأمة لا بد من أن تستعد للطرف الآخر ، لا بد من أن تستعد عسكرياً ، واقتصادياً ، واجتماعياً ، وعلمياً ، واجتماعياً ، وإنسانياً ، هذا معنى قوله تعالى :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ ﴾

(سورة الأنفال الآية : ٦٠)

لأن الله عز وجل لا ينصرنا إلا بشرطين ، كل شرط منهما شرط لازم غير كافٍ ، الأول : الإيمان .

﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

(سورة الروم)

الذي يحمل على طاعة الله ، وثانياً : الإعداد :

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ ﴾

لكن فضل الله عز وجل ما كلفنا أن نعد

الإعداد المكافئ لأعدائنا الأقوياء ، لا ، كلفنا أن نعد الإعداد المتاح وعلى الله الباقي ، هذا رحمة بنا .

﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ ﴾

(سورة الأنفال الآية : ٦٠)



القوة المطلقة ، في وقت السيف قوة ، والفرس قوة ، وفي وقت المنجنيق قوة ، وفي وقت آخر المدرعة قوة ، وفي وقت الطائرة قوة ، وفي وقت الأقمار الصناعية قوة ، وفي وقت الإعلام قوة ، وفي وقت التوجيه المعنوي قوة ، فالقوة مطلقاً جاء المطلق على إطلاقه ، لكن ليفهم الصحابة ما القوة قال :

﴿ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ ﴾

(سورة الأنفال الآية : ٦٠)

هذا عند علماء البلاغة عطف الخاص على العام .

﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾

(سورة الأنفال الآية : ٦٠)

يجب أن يكون عدوكم عدواً لله ، لا أن يكون العدو مؤمناً ، هذه مشكلة كبيرة ، مملح دقيق في هذه الآية ، إذا :



﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾

وقد لا تحتاجون إلى للسلاح ، السلاح أحد أكبر وظائفه قوة رادعة، الآن القوة النووية مرهوية الجانب ، وقد لا تستخدم هذا السلاح إطلاقاً ، لكنه :

﴿ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾

فإذا تجاوزت الإعداد ، الآن التعليم إعداد ، الاقتصاد إعداد ، الصحة إعداد ، الآن النصر يحتاج إلى أشياء كثيرة جداً ، شعب صحيح ، شعب مثقف ، شعب علاقاته الاجتماعية رائعة ، فالإعداد شامل ، كل مسلم إذا أدار وقته فهو مجاهد ، حينما تساهم في بناء الأمة اقتصادياً ، اجتماعياً ، علمياً ، ثقافياً ، عسكرياً ، فأنت في جهاد ، فهذا أوسع معنى من معاني الجهاد البنائي .

٤ . الجهاد القتالي :

إذا نجح الإنسان النفسي ، ونجح في الجهاد الدعوي ، ونجح في الجهاد البنائي ينتظر أن ينجح في الجهاد القتالي ، أما هذه القفزة الطائشة من لا شيء إلى الجهاد القتالي لا ينجح ، الجهاد القتالي كالدكتوراه ، يحتاج إلى تعليم أساسي ، تعليم ثانوي ، تعليم جامعي ، ثلاثة أنواع من التعليم تفضي للدكتوراه ، فالجهاد يعين إنساناً سيقدم نفسه في سبيل الله .

لذلك الإنسان حينما يسلك المراحل الثلاث في الأعم الأغلب ينتظر أن ينجح في الجهاد القتالي .

الجهاد القتالي تاج على أنواع الجهاد الثلاثة :



لكن الحقيقة الدقيقة : أن الحرب بين حقين لا تكون لأن الحق لا يتعدد ، الحق يشبه خطأ مستقيماً بين نقطتين ، وبين نقطتين لا يمر إلا مستقيماً واحد ، لو رسمت خطأً ثانياً يأتي فوقه تماماً ، الحق لا يتعدد ، لذلك الحرب بين حقين لا تكون ، والآن المعركة بين الحق والباطل لا تطول لأن الله مع الحق ، وإذا كان الله معك فمن عليك ؟ وإذا كان

عليك فمن معك؟ والحرب بين باطلين لا تنتهي ، قد تستمر الحرب بين باطلين عقوداً ، مرة هذا يفوز و مرة هذا يفوز ، لكن لا يوجد حسم ، وأصعب شيء بالحرب عدم الحسم ، لا يموت فيها ولا يحيا ، لا يوجد حرب ولا يوجد سلم ، هذه حالة صعبة جداً تمر بها الأمة ، لا حرب ولا سلم، هناك أخطار تهددنا ولا يوجد حرب .

إذاً نحن أمام الجهاد القتالي ، وهو الجهاد الذي يأتي تاجاً على أنواع الجهاد الثلاثة .

خاتمة و توديع :

الأستاذ جميل :

جزاكم الله خيراً فضيلة الدكتور ، وأحسن إليكم ، شكراً لكم أيها الأخوة على حسن المتابعة ، ونترككم في أمان الله وحفظه .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والحمد لله رب العالمين